

تفسير ابن كثير

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ^ط فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر ، ثم بعد ذلك السيف
المرهف أين ثقفوا ، فقال تعالى : (كيف يكون للمشركين عهد) وأمان ويتركون فيما هم
فيه وهم مشركون بالله كفرون به وبرسوله ، (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام)
يعني يوم الحديبية ، كما قال تعالى : (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام
والهدي معكوفاً أن يبلغ محله) الآية [الفتح : 25] ، (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
(أي : مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم
عشر سنين (فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) وقد فعل رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ذلك والمسلمون ، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست
، إلى أن نقضت قريش العهد ومالئوا حلفاءهم بني بكر على خزاعة أحلاف رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فقتلوهم معهم في الحرم أيضا ، فعند ذلك غزاهم رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - في رمضان سنة ثمان ، ففتح الله عليه البلد الحرام ، ومكنه من نواصيهم ، والله الحمد والمنة ، فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم ، فسموا الطلقاء ، وكانوا قريبا من ألفين ، ومن استمر على كفره وفر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث إليه بالأمان والتسيير في الأرض أربعة أشهر ، يذهب حيث شاء : منهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام التام ، والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله .